

## المنهج المسحي

لما كان الهدف الأساسي للبحوث الوصفية تصوير وتحليل وتقويم خصائص ظاهرة أو مجموعة من الظواهر، فإن أهم منهج تعتمد عليه في تحقيق هذا الهدف هو منهج المسح الذي يعتبر جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة أو مجموعة الظواهر موضوع البحث لدى عينة محددة ممثلة لمجتمع البحث، ولفترة زمنية كافية للدراسة وذلك إما بهدف تكوين القاعدة الأساسية من البيانات والمعلومات المطلوبة في مجال تخصص معين، أو تحديد كفاءة الأوضاع القائمة عن طريق مقارنة المعلومات التي تم الحصول عليها بمستويات أو معايير قياسية سبق اختيارها وإعدادها، أو التعرف على الطرق والأساليب والممارسات التي اتبعت لمواجهة مشكلات معينة (محمد، 1983، ص ص. 127-128).

### 1- تعريف المنهج المسحي

هو أحد الأشكال الخاصة بجمع المعلومات عن حالة الأفراد وسلوكهم وإدراكهم ومشاعرهم واتجاهاتهم. فإنه يعتبر أيضا الشكل الرئيسي والمعياري لجمع المعلومات عندما تشمل الدراسة المجتمع الكلي أو تكون العينة كبيرة ومنتشرة بالشكل الذي يصعب الاتصال بمفرداتها. مما يوفر جانبا كبيرا من الوقت والنفقات والجهد المبذول من خلال خطوات منهجية وموضوعية. وتعرفه جانيس بارلو (Janice Ballou) على أنه منهج يبحث يستخدمه علماء الاجتماع (وكذلك الأمر بالنسبة للباحثين في مجال الاتصال) مثل غيرهم من الباحثين في الاقتصاد والعلوم السياسية، وعلم النفس...، لتوفير المعلومات ودراسة الأشخاص والظواهر الاجتماعية بطريقة إمبريقية وعلمية. ويعتبر المسح علميا لأنه يعتمد على عملية ثابتة يمكن متابعتها وتوثيقها وتكرارها، هذه العملية تمتاز بالصارمة والمنهجية. والخطوات النموذجية للبحث المسحي هي: صياغة المشكلة، بناء الفرضيات، تصميم البحث، تصميم العينة واختيارها، بناء الاستبيان، جمع البيانات، تحليل البيانات، تقديم تقرير البحث، تطبيق النتائج المتحصل عليها (Janice, 2008, p. 860).

وتعتبر البحوث المسحية هي البحوث الرئيسية لدراسة جمهور وسائل الإعلام في إطارها الوصفي أو التحليلي، حيث يسمح للباحث بدراسة عدد كبير من المتغيرات في وقت واحد مثل السمات العامة، والاجتماعية، والنفسية وكذلك أنماط السلوك الاتصالي. وتقديم قاعدة معرفية واحدة للبيانات الخاصة بهذا الجمهور يمكن استخدامها في وصف تركيبه وبنائه، واختبار العديد من الفروض العلمية الخاصة بالعلاقة بين هذه المتغيرات.

ويستهدف المسح الوصفي تصوير وتوثيق الوقائع والحقائق الجارية، ويهتم في مجال دراسة جمهور المتلقين بوصف حجم وتركيب هذا الجمهور، وتصنيف الدوافع والحاجات، والمعايير الثقافية والاجتماعية، وكذلك الأنماط السلوكية ودرجاتها أو شدتها، ومستويات الاهتمام والتفضيل. ويمثل الوصف في هذا الإطار إجابة على السؤال لمن؟ أي وصف جمهور المتلقين (محمد، 2000، ص ص. 158-159).

## 2- أنواع البحوث المسحية في مجال الاتصال

يقسم روجر ويمر وجوزيف دومينيك البحوث المسحية في مجال الاتصال إلى مسوح وصفية وأخرى تحليلية. يحاول المسح الوصفي أن يَصوّر أو يوثّق الظروف أو الاتجاهات الحالية، وهذا يعني أن تفسر ما هو موجود في هذه اللحظة. فمثلاً تُجرى وزارة العمل بانتظام مسوحا حول وضع البطالة في الولايات المتحدة. ويُجرى محترفو الاستفتاءات مسحا على الناخبين لكي يعرفوا آراءهم حول المرشحين، أو حول القضايا التي تثيرها الحملات الانتخابية. وتجرى المحطات الإذاعية والشبكات باستمرار مسوحا للجمهور لتحديد مذاقات البرمجة، وتغيّر القيم، وتنوّعات أنماط الحياة التي تؤثر على البرمجة. ويعنى الباحثون في هذا النمط من المسوح الوصفية باكتشاف الوضع الحالي في المجال قيد الدراسة.

أما النوع الثاني فيتمثل في المسوح التحليلية، وتحاول وصف سبب وجود مواقف محددة وشرحها، ويتضمن هذا المنهج عادة فحص متغيّرين أو أكثر وذلك لاختبار الأسئلة البحثية وفرضيات البحث. وتسمح النتائج للباحث فحص العلاقات المتداخلة بين المتغيرات وتعطينا استنتاجات تفسيرية. فمثلاً، يُجرى مالكو محطات التلفزيون أحيانا مسوحا لأسواقهم ليحدّدوا كيف تؤثر أنماط الحياة على عادة المشاهدة، أو لتحديد في ما إذا كانت أنماط حياة المشاهدين يمكن أن تستخدم للتنبؤ بنجاح البرامج التي يمكن أن توزّع على محطات أخرى (ويمر ودومينيك، 2013، ص ص. 328-329).

ويقسم سمير محمد حسين البحوث المسحية في مجال الاتصال إلى: - مسح الرأي العام؛ - تحليل المضمون؛ - مسح جمهور وسائل الإعلام؛ - مسح وسائل الإعلام؛ - مسح أساليب الممارسة. ويلاحظ أنّ هذه البحوث المسحية الفرعية المختلفة تفيد مختلف الباحثين والممارسين في المجالات الإعلامية المتعددة كالصحافة والراديو والتلفزيون والإعلان والعلاقات العامة والرأي العام، فضلا عن تداخلها مجتمعة في خدمة الباحثين والممارسين في مجال الإعلام، أي أنها مختلفة من حيث طبيعة الموضوع الذي تعالجه، ومتكاملة معا في نفس الوقت من حيث النتائج والخلاصات التي تنتهي إليها (محمد، 1983، ص. 129).

### 3- مزايا وعيوب المنهج المسحي

تتمتع البحوث المسحية بالعديد من المزايا منها:

- يمكن أن تستخدم البحوث المسحية لدراسة المشكلات في ظروف طبيعية.
- تعتبر تكلفة هذه المسوح معقولة بالقياس إلى كمية المعلومات التي نجمعها. بالإضافة إلى ذلك يمكن أن يسيطر الباحثون على التكاليف باختيار أحد أنواع المسوح الرئيسية الخمسة التالية: المسوح البريدية، والهاتفية، والمقابلة الشخصية، وإدارة الجماعات، والإنترنت.
- يمكن جمع كم كبير من البيانات بسهولة نسبية من أناس متنوعين. وتسمح التقنية المسحية للباحث اختبار عدد كبير من المتغيرات. واستخدام العديد من أنواع الإحصاء لتحليل البيانات.
- لا تعيق الحدود الجغرافية هذه المسوح، إذ يمكن إجراؤها في أي مكان تقريباً.
- تتوافر البيانات التي تساعد على إجراء البحوث المسحية، فبيانات الأرشيف/والوثائق الحكومية، ومواد التعداد العام للسكان، وكتب تقييم التلفزيون، وقوائم سجلات الناخبين يمكن أن تستخدم كمصادر أولية أو مصادر ثانوية.

وبالرغم من كل تلك المزايا إلا أنّ البحوث المسحية يشوبها بعض العيوب منها:

- العيب الأكثر أهمية هو أنه لا يمكن السيطرة على المتغيرات المستقلة كما يحدث في التجارب المخبرية. وبدون السيطرة على المتغير المستقل لا يستطيع الباحث التأكد في ما إذا كانت العلاقات بين المتغيرات المستقلة والتابعة هي علاقة سببية أو غير سببية.
- إن الصياغة غير المناسبة للكلمات أو وضع الأسئلة في مكانها ضمن الاستبانة قد يسبب تحيزاً في النتائج.
- قد يشمل البحث المسحي المشاركين الخطأ.
- تتزايد صعوبة إجراء بعض البحوث المسحية لأن نسبة المشاركة تتناقص باستمرار (ويمر ودومينيك، 2013، ص ص. 329-330).